***تمهيد:**

تبلور مصطلح الدّلالة في صورته الفرنسيّة Semantique لدى اللّغوي الفرنسي "بريالBreal" في أواخر

القرن التّاسع عشر1883م ليعبّر عن فرع من علم اللّغة العام هو"علم الدّلالة" ليقابل "علم الصّوتيات" الّذي يعنى بدراسة الأصوات اللّغوية[1]. وقد اشتقّت كلمة الدّلالة من أصل يوناني مؤنّثSêmantike منكره Semanantikos أي: يعني، يدلّ، ومصدره كلمة Sêma أي: إشارة؛ وقد نقلت كتب اللّغة هذا الاصطلاح إلى الأنجليزيّة، وحظي بإجماع جعله متداولا بغير لبسSémantics[2]. وتتمثّل الإشكاليّة اللّغوية لهذا العلم في الوقوع على قوانين المعنى الّتي تكشف أسراره، وتبيّن السّبل إليه وكيفيّة حركته، لترقى الدّلالة، فتؤدّي وظائف حضارية عاليّة في الحياة اليوميّة وميادين العلوم وآفاق الفنّ، وتغدو أداة طيّعة بين أيدي البشر[3].

واستمدّ الدّلاليون ما كان لدى البلاغيّين منذ أرسطو، وفسّروا تغيّرات المعنى لغويّا في المجاز والاستعارات، كما أنّهم تابعوا تحليل التّصورات فلسفيا وربطها بالحقيقة وبالأشياء، ثمّ ركّزوا بحوثا لهم في علاقات الرّموز بمدلولاتها. وقد زوّدت الجهود الدّلالية الحديثة المصادر القديمة بنتائجها الدّقيقة كما في الاشتقاق التّأصيلي، وقد ظلّت المعاجم العامّة تحمل أخطاء في مواضع منها تعلّق بهذا الضّرب من العمل اللّغوي إلى أن أفادت من الدّرس الدّلالي المفصّل[4].

***01/ اهتمامات علم الدّلالة:**

يهتمّ علم الدّلالة بالجانب المعجميّ، وما تدّل عليه الكلمات، مع تتبّع مستجدّات المعنى الّذي يلحق بتلك الدّلالات، أو ما يدفع–بسبب التّطور–إلى أن يتبدّل ما تشير إليه تلك الكلمات أو سواها، ومن الممكن متابعة "الدّلالة" من خلال النّظام اللّغوي الّذي يتميّز بخصائصه النّحوية

---

[1] فايز الدّاية: علم الدّلالة العربي النظريّة والتّطبيق دراسة تاريخيّة تأصيليّة نقدية،دار الفكر،سوريا،دار الفكر المعاصر،لبنان،ط02، 1996،ص6

[2] Dictionaire Larousse,etyn ,paris,1968,p682 .

[3] Dictionnaire de linguistique Larousse,paris,1975,p427.

[4] فايز الدّاية: علم الدّلالة العربي، ص07، 08.

والصّرفية، والّتي تشكّل لهذا النظام بنبته الخاصّة به...وهذه البنية تتشكّل منها ما يعرف بالحقول الدّلالية والّتي تضمّ مجموعات تشكّل مفهوما مشتركا، أو دلالة تدخل في نطاق واحد، وعليه فإنّ الباحث في الدّلالة ينبغي أن يبحث في تلك العلاقة الّتي تربط الدّال بمدلوله في النّص من خلال السّياق، وبالتّالي فهم وتحديد الدّلالة السّياقية إن كانت دلالة مباشرة أو تحمل دلالة إيحائيّة أو تأويليّة أخرى(الحقل الدّلاليّ).

كما يجب أن نوجّه اهتماما خاصا إلى أنّ دراسة الأسلوب الفرديّ، لا ينبغي أن ترتكز على الأنماط المنحرفة عن الأصل فحسب باعتبارها إبداعات برّاقة واضحة، بل إنّ دراسة الأسلوب الجاري على النّسق المألوف قد يبهرنا أكثر ممّا يبهرنا النّوع الأوّل، ولذا يجب أن نتحرّى في الصّياغة ما فيها من منبّهات تعبيريّة، لها طبيعة جماليّة من ناحيّة، ولها طبيعة استمراريّة من ناحيّة أخرى، كما يجب أن نتحرّك وراء التّكرارات الّتي تأخذ شكل ظاهرة أسلوبيّة في بعض ألوان الأداء، ممّا يكسب المضمون حيويّة تؤثّر في الشّكل اللّغوي، فتصبح عمليّة الأخذ والعطاء بينها قطب النّظام الجماليّ للكلام[1].

إذ "الوحدات المكرّرة لا تتّفق في دلالة خاصّة واحدة، لأنّ الدّلالة مصطلح في غاية الخصوصيّة، فهي لا تتشكّل عبر ما تحيل إليه الكلمة بمفردها، وإنّما عبر تضافر معناها المعجميّ مع السّياق الكليّ الّطي وردت فيه"[2].

02/ تعدّد المعنى واللّفظ (المشترك، التّرادف، التّضاد):

أثار التّقابل بين الدّال والمدلول عند علماء اللّغة العربيّة نشاطا لغويّا لترصد بعض الظواهر، الّتي اتّخذت لها أسماء ذهب معها بعض الدّارسين بدلا من أن ترتّب لديهم وتتصاعد في درس دلاليّ، وهي قضايا التّرادف والأضداد والمشترك اللّفظي، وقد ركّز "ابن فارس" في عبارات العلاقات بين الأسماء والمسمّيات، ذلك أنّه يسمّي الشّيئان المختلفان بالاسمين المختلفين؛

[1] عبد الحفيظ حسن: ص47.
[2] الأسلوبيّة الشّعرية: ص65.

وذلك أكثر الكلام، كرجل وفرس، وتسمّى الأشياء الكثيرة باسم واحد (المشترك اللّفظي) نحو عين الماء، وعين المال، وعين السّحاب. ويسمّى الشّيء الواحد

بالأسماء المختلفة (المترادفة) نحو السّيف والمهنّد والحسام[1].

والمشترك اللّفظي عرّفه أهل اللّغة بأنّه "اللّفظ الواحد الدّال على معنيين مختلفين، فأكثر دلالة على السّواء عند أهل تلك اللّغة واختلف النّاس فيه، فالأكثرون على أنّه ممكن الوقوع"[2].

وأمّا التّضاد فقد عدّ جزءا من مفهوم المشترك، ذلك أنّ "المشترك يقع على شيئين ضدّين، وعلى مختلفين غير ضدّين، فما يقع على الضدّين كالجون(للأبيض والأسود) وجلل (للعظيم وللحقير)؛ وما يقع على مختلفين غير ضدّين كالعين"[3].

وفي المزهر تعريف مختصر للتّرادف "فهو الألفاظ المفردة الدّالة على شيء واحد باعتبارواحد"[4].

03/ في القول على المنقول والمشترك:

يقول "الفارابي" في كتاب (العبارة): "الفرق بين المنقول والمشترك: أنّ المشترك إنّما وقع الاشتراك من أوّل ما وضع من غير أن يكون أحدهما أسبق في الزّمان بذلك الاسم. والمنقول هو الّذي سبق به أحدهما في الزّمان ثمّ لقّب به الثّاني، واشترك فيه بينهما بعد ذلك.

والاسم المشترك: منه ما يقال على أشياء كثيرة بأنّ اتّفق ذلك فيها اتّفاقا، مثل اسم العين الّذي يقال على العضو الّذي به يبصر، وعلى ينبوع الماء، ومنه ما يقال على شيئين لأجل مشابهة أحدهما الآخر، لا في المعنى الّذي دلّ عليه ذلك الاسم من أحدهما، بل في عرض ما مثّل الإنسان والفرس، يقال عليهما جميعا (الحيوان)[5].

---

[1] السّيوطي: المزهر، ج01، ص369.
[2] المرجع نفسه، ص369.
[3] المرجع نفسه، ص387.
[4] السّيوطي: المزهر،ص402.
[5] أبو نصر الفارابي: العبارة، تح: محمد سليم سالم، الهيأة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، 1976، ص20-24.

ويتناول "ابن سينا" الاصطلاحات وأبعادها في كتابه (النّجاة) فيقول: "فإمّا أن يكون لفظا مشتركا وهو الواقع على عدّة معان ليس بعضها أحقّ به من بعض، كالواقع على ينبوع الماء وعلى آلة البصر والدّينار، وإمّا أن يكون لفظا منقولا وهو الواقع على عدّة بمعان عدّة، ولكن وقوعه على أحدهما أقدم على أنّ المتأخّر مسمّى به على الحقيقة، كلفظة المنافق والفاسق والكافر ولفظة الصّوم والصّلاة... وإمّا لفظا مستعارا وهو الّذي أخذ للشّيء من غيره من غير أن ينقل في اللّغة فجعل اسما له على الحقيقة وإن كان في الحال يراد به معناه. كقول القائل: إنّ الأرض أمّ للبشر"[1].

04/ اللّفظ والمعنى:

ثمّة ظواهر دلاليّة تتّصل بمشكلة اللّفظ والمعنى نجد لها مكانا في جهد النّقاد، وهي تدور حول تعدّد الألفاظ للمعنى الواحد، التّرادف، وتعدّد المعاني للّفظ الواحد (المشترك اللّفظي والأضداد)، وسنعمل في هذا الحيّز من البحث على إجمال صورتها كما وردت في المصنّفات النّقدية، وسنشير إلى إمكانيّة الاستفادة من هذه الظّواهر في هذا النّقد الأدبيّ[2].

فقد خصّت الخمر بأسماء وصفات، وهذه أسماء الخمر وصفاتها، فبعض ذلك عن البصريين وبعضه عن الكوفيين: "هي الخمر والقهوة والسّلافة، والمدام، والعقار، والرّاح والشّمول والقرقف والإسفنط، والسّلسل، والسّلسال والخرطوم والخندريس والزّرجون والسّلسبيل، والعانية والصّريفية والمشعشعة والصّهباءوالسّخامية، والصّرخدية، والمقذية والخمطية، والكميّت والعاتق والماذية والمزاء والمزّة، والكلفاء"[3].

ويذكر ابن النّحاس أنّهم قالوا: "المال والنّشب واحد". ويعقب بعبارة "وزعم أبو العبّاس أنّه لا يجوز أن يكرّر الشّيء إلاّ وفيه فائدة"، وقال: النّأي ما قلّ من البعد، والبعد لا يقع إلاّ لما كثر، وقال: النّشب ما ثبت، وكذلك في قول الله عزّ وجلّ "لكّل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا"

---

[1] ابن سينا: النّجاة، مطبعة محي الدّين صبري الكردي، القاهرة، مصر، ط02، 1938، ص80.
[2] فايز الدّاية: علم الدّلالة العربي، ص85.
[3] ابن النّحاس: شرح القصائد التّسع، ص497.

المائدة/05، قال الشّرعة ما ابتدئ من الطّريق، والمنهاج: الطّريق المستمّر، وقال غيره الشّرعة والمنهاج واحد وهما الطّريق، ويعني بالطّريق ههنا: الدّين[1].

05/ بين الدّلالة والبلاغة:

نقطة الالتقاء بين الاهتمام البلاغيّ النّقدي بالمجاز على اختلاف ضروبه ودراسة علماء الدّلالة لهذه الأنواع من الاستخدامات الأدبيّة تتمثّل في الانعكاس الّذي يترك آثاره في اللّغة العادية المتداولة دونما قصد

إلى الإبداع والتميّز، فالنّاقد يتتبّع طرائق الشّعراء والكتّاب في التّعبير وابتكار الصّور لإحداث التّكامل المؤثّر في المتلقّين، ذلك أنّ الفكرة الّتي يطالع بها المبدع قارئه، أو الانفعال الّذي تتكوّن منه قصيدة يحتاجان إلى هيئة فنيّة خاصّة تنحت من المّادة اللّغوية ذاتها بإيقاعها وموسيقاها وبحيويّة فاعلة تجعل اللّغة تتّسع لتجربة فيها الصّورة المجازيّة والاستعاريّة، وههنا يمسك الباحث الدّلالي طرف المسألة ليدرس لغة الشّاعر المجازيّة، وهي أعلى مرتبة لاستخراج قدرات البناء اللّغوي، من تغيير المعنى ونقله أو تحريكه في اتّجاهات يتّسع في بعض منها، ويضيق في بعض آخر...مع الاحتفاظ بوهج الانفعال وحرارة التّجربة، ومن ثمّ يعرض الدّلالي لنماذج يخفت فيها الوهج وترفع عنها أستار السّحر والتّحريك، وتغدو الأشكال الّتي تصنّف ظاهرا على أنّها مجازيّة أدوات لغويّة عاديّة قد تغني الرّصيد اللّغوي بمفردات أو ظلال للمعنى إلاّ أنّها تترك مكانها الأوّل في لغة الشّعر ذات الخصوصيّة[2].

وفي مطلع العصر الحديث للدّراسات اللّغوية الدّلالية، وجد علماء الدّلالة وعلى رأسهم (بريال) و(دارمستيتر) في المجاز المرسل ذي العلاقة الكليّة والجزئيّة، وذي العلاقات الأخرى كالسّببيّة والمجاورة، وفي الاستعارة نماذج أساسيّة لتغيّر المعاني –الدّلالات–وتطوّرها ذلك أنّ المجاز ذا العلاقة الكليّة والجزئية يشكّل حالات الانكماش والاتّساع في المعنى؛ فالانكماش يتمّ إذ نستعمل لفظ الكلّ في الجزء "جعلوا أصابعهم في آذانهم" نوح/07. والاتّساع باستعمال الجزء معبّرا عن الكلّ "عين السّلطة الغازيّة يتجوّل بين القوم"، أمّا المجازات ذوات العلاقة

---

[1] المرجع نفسه، ص462.

[2] فايز الدّاية: علم الدّلالة العربي، ص378، 379.

السببيّة والمسبّبية، والمجاورة والحاليّة والمحليّة، والاستعارات فهي تمثّل نقل المعنى من مجال إلى آخر[1].

أمّا "الثّعالبي" في (سرّ العربيّة) فإنّه يخصّص فصلا للاستعارة لأنّ "من سنن العرب أن تستعير للشيء ما يليق به، ويضعوا الكلمة مستعارة له من موضع آخر" ويأتي بشواهد منها: رأس المال، عين الماء، انشقّت عصاهم، افتّر الصّبح عن نواجده"[2].

وفي الصّناعتين ل "أبي هلال العسكري" نرى أنّ الاستعارة "هي نقل العبارة عن موضع استعمالها في أصل اللّغة إلى غيره لغرض، إمّا أن يكون شرح المعنى وفضل الإبانة عنه، أو تأكيده والمبالغة فيه، أو الإشارة إليه بالقليل من اللّفظ أو تحسين المعرض الّذي يبرز فيه"[3]

[1] فايز الدّاية: علم الدّلالة العربي، ص379.
[2] الثّعالبي: سرّ العربيّة، تح: مصطفى السّقا وآخرين، طبع مصطفى البالي الحلبي، 1974، ص414.
[3] أبو هلال العسكري: الصّناعتين، ص268.